

(c) <http://nidaulhind.blogspot.in>

تنبيه: توجد بعض صفحات ما حملتها ، أو بعض الكلمات في بعض الصفحات من

الملفات غير واضحة حيث تعوق القراءة نتيجةً لقدم الكتاب نفسه وليس بسبب

التصوير، فقد قمنا بتصحيح الخلل والمعوقات بقدر ما استطعنا

<http://nidaulhind.blogspot.in> موقعكم نداء الهند

بين اللغتين : العربية والسنسكريتية

للأستاذ مهيش برشاد

من خمسة الهدوية حارس

شاع الوم أن العلاقات بين الهند والبلاد العربية بدأت بدخول الاسلام في الهند. غير أن الواقع خلاف ذلك. فقد نشأت بين القطرين علاقات قبل الاسلام.

إن أرض البلاد العربية حتى اليوم لا تجود على أهلها بالرزق الذي يكفيهم. ولذلك اضطروا إلى البحث عن موارده خارج حدودهم، فأصبحوا تجارا. جواين للآفاق.

لم يكن التجار العرب يتاجرون مع الهند وحدها بل مع الصين أيضاً. كانوا يجلبون إلى الهند الخيل، ويعودون من الهند بالقماش والعمود والسيوف والهارات. وقد كان من هذا الاتصال المتوالي أن تسربت كلمات هندية إلى اللغة العربية، وذلك حتى قبل بدء الاسلام.

وإليك بعض تلك الكلمات :

العربية	الهندية
فلفل	Pippali
قرنفل	Kanakphal
مسك	Mushk

والبضائع التي كانت تجلب من الهند، ما كانت تستهلك في البلاد العربية وحدها، بل يتقل بعضها أو معظمها إلى آسيا الغربية وأوروبا وأفريقيا. وقد قيل

إن التجار العرب هم الذين جاءوا يوسف النبي إلى مصر قبل ألف سنة من ميلاد المسيح . ومن هذا يعلم قدم التجارة العربية . وقد ظلت هذه التجارة زاوية ، حتى اهتدى واسكودى غاما سنة ١٤٩٨ إلى طريق بحرى آخر للهند ، فانتقلت التجارة الهندية تدريجاً إلى أبهى الأمم الأوربية وتهددت التجارة العربية بالانقراض .

وقد شقت الكلمات الهندية طريقاً لنفسها إلى الشعر العربى ، فهذا امرء القيس . ملك شعراء العرب . يتغنى فى معلقته بالكلمات الهندية :

ترى بَعَرَ الأرام فى عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُفْلٍ
ويقول :

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهَا نَسِيمَ القَبَا جَاءتِ بِرِيًّا القَرْنُفُلُ
ويقول :

وَتَضِحِي قَتِيتُ المِسْكَ فَوْقَ فَرَاشِهَا تَوَمُّ الفُضْحَى لَمْ تَنْتَبِطِقْ عَن تَفْضُلِ
وقد أشاد شعراء العرب بذكر السيف الهندى قبل الاسلام وبعده ، فيقول
طرفة فى معلقته :

وظلمُ ذوى القربى أشدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرِّ مِنْ وَتَعِ الحُسَامِ المِهْنِدِ
وكذلك يقول :

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفِكُ كَتَشِحِي بِطَانَةَ لِعَضْبِ رَفِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهْنِدِ
وهذا المتبى يقول :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمِهْنِدَ فِى يَدَى مَوَارِدَ لَا يُفْسِدِرْنَ مِنْ لَا يُجَالِدُ

ويقول:

وما الصارمُ الهندي إلا كثيره إذا لم يُفارقهُ النجاذُ وِغندُهُ
والكلمات الهندية التي تدرت إلى العربية . ورد بعضها في القرآن . كقوله:

١ - . إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . (٥: ٧٦) .

٢ - . ويصفون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا . (١٧: ٧٦) .

٣ - . وختمه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . (٢٦: ٨٣) .

وهناك في القرآن كلمات أخرى ما عدا الكافور . والزنجبيل . والمسك . قيل
إنها هندية الأصل . فيرى بعض علماء العربية . أن كلمة . طوبى . التي وردت في
القرآن . اسم لجنة في بعض اللغات الهندية . وكذلك كلمة . الصبح . التي ذكرت
في القرآن أربع مرات . وكلمتا . الضياء . وه السفينة . وهما ذكرتا ثلاث مرات .
زعم المرحوم جرجي زيدان الشهير . أن هذه الكلمات الثلاثة ليست عربية . بل
سنسكريتية الأصل .

ويرى هذا المؤلف نفسه أن اللغة السنسكريتية ترقى وتهذب قبل اللغة
العربية بزمن طويل . وأن درس السنسكريتية درسا جيدا لا بد من أن يثبت
أن كلمات عربية أخرى كثيرة قد اقتبست منها .

كان العرب يملكون عند بدء الإسلام كنزا ثميناً من الشعر ، ولكنه وحده
ما كان ليقى بحاجات الشعب الناهض ، فلما اتسعت الفتوح ، دعت الضرورة
إلى تزويد اللغة العربية بعلوم شتى . وقد كانت العلاقات توقت مع الهند من
قبل . فأخذ العرب من الهند ، ليست الكلمات اللغوية وحدها ، بل شيئا كثيرا من
العلم كذلك . وإن مدينة بغداد التي ظلت مقر الخلافة . كانت كذلك مركزا
للعلوم والفتون . فرأى القرن الثامن الميلادي عددا كبيرا من العلماء المسلمين

وغير المسلمين قد تزاخوا بها من البلاد المختلفة . فكانت هناك حركة عليية عظيمة ، وحركة عظيمة للترجمة . ليس من اليونانية واللاطينية والعبرية والفارسية لحسب . بل من السنسكريتية أيضا .

وأول كتاب سنسكرتي نقل إلى العربية ، هو « سدهانت » ، ولعل اسمه التام « سُريا سدهانت » ، أو « رهماسبت سدهانت » . وقد كان هذا النقل في سنة ٧٧٨ الميلادية أو حواليها . وهو يسمى بالعربية « اسنيد هند » . وبقراً كذلك « سند هند » أو « أسند هند » . وقد تعلم منه العرب الأعداد الهندية ، وكانوا قبل ذلك يستعملون مكانها حروف الأبجد . ولا تزال الأعداد الهندية تسمى عند العرب بالرقوم الهندية . لا ريب في أن العرب اقتبسوا الأعداد الهندية . والدليل على ذلك — إن احتجنا إلى الدليل — أن هذه الأعداد تكتب في العربية ، كما في اللغة الهندية ، من اليسار إلى اليمين ، بينما الكتابة العربية من اليمين إلى اليسار .

وليس العالم العربي وحده اقتبس الأعداد الهندية . بل أخذتها أوربا كذلك من أيدي العرب وسمتها الأعداد العربية .

والكتاب السنسكرتي الثاني الذي نقل إلى العربية ، هو « آريابته » ، الذي سمي بالعربية « ارج بند » . والكتاب الثالث هو « اركند » المعروف في السنسكريتية باسم « كهند كهاديك » . وبعد هذه الكتب الثلاثة ، نقلت إلى العربية مؤلفات سنسكريتية أخرى في علم الهيئة ، إلا أن « اسين هند » ظل يحتل مقاما هاما إلى زمن طويل .

أما الكتب السنسكريتية في الفنون المختلفة كالمهنة والآداب والأخلاق والطب والرمل وغيرها التي ترجمت إلى العربية في الربع الأخير من القرن الثامن والقرن

تاسع . فبطول عدها . وحسنا أن نذكر بعضها هنا :

- ١ - كتاب شاناق في التدبير ، في السنسكريتية : (Chanak-Niti)
- ٢ - كتاب روسا الهندية في حاجات النساء ، ألفته امرأة هندية في موضوع أمراض النساء ومعالجتها .
- ٣ - شارك سنيتا (Sharak Sanhita) . كتاب معروف في الطب الهندي .
- ٤ - سشرت سنيتا (Sushrue Sanhita) . كتاب آخر شهير في الطب الهندي .
- ٥ - كتاب يدما في الحكمة .
- ٦ - كتاب أسرار المسائل .
- ٧ - كتاب المواليد الكبير .
- ٨ - كتاب أسرار المواليد .

وقد ذاع صيت الهند وبنعداد كليهما بوجود العلماء الهنود ببفداد خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، والخدمات العلمية التي أدوها علماء الهنود كانت جليلة نافعة . ومن الأسف أن تاريخنا لم يعتن بتخليد ذكرى هؤلاء الفحول غير أننا نجد في المؤلفات العربية بعض ما قاموا به من الأعمال .

ذكرت الكتب العربية أسماء بعض العلماء الهنود الذين كانوا في بغداد ، أمثال منك . وسنجال ، وجواد ، وشاناق ، وصالح (سالي) ابن دهن ، وكنكة وغيرهم . وإليك نبذة بما كتب عن بعضهم :

منك . طبيب كبير من أطباء الهند . كان عالما بصناعة الطب . حسن المعالجة ، لطيف التدبير ، فيلسوفا . من المشار إليهم في علوم الهند ، متقنا للغة الهند ولغة الفرس وهو الذي نقل كتاب شاناق الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسية وقيل إلى العربية (منه نسخة خطية بدار الكتب في برلين) . فكان في

أيام الرشيد هارون وسافر من الهند إلى العراق في أيامه. واجتمع به ودأواه (طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة). وفي بعض الكتب أن منكه كان من جملة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، وكان ينقل من اللغة الهندية إلى الفارسية والعربية. وفي كتاب أخبار الخلفاء والبرامكة، أن الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الأطباء، فلم يجد من علته إفاقة. فقال له أبو عمر الأعمى: بالهند طبيب يقال له منكه، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم، فلو بعث إليه أمير المؤمنين، فلعلم الله أن يهب له الشفاء على يده. قال فوجه الرشيد من حمله ووصله بصلة تعينه على سفره. فقدم وعالج الرشيد، فبرأ من علته بعلاجه، فأجرى عليه رزقا واسعا وأمواالا وافية. قال فبينما كان منكه مارا بسوق، إذا هو برجل قد بسط كسائه وألقى عليه عقاقير كثيرة. وقام يصف دواءه عنده معجونا، فقال في صفته: «هذا دواء للحمى الدائمة، وحمى الغب، وحمى الربع، ولوجع الظهر والركبتين، والحام والبواسير، والرياح، ووجع المفاصل، ووجع العينين، ولوجع البطن، والصداع، والشقيقة، ولتقطير البول، والفالج، والارتعاش». ولم يدع علة في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاؤها! فقال منكه لترجمانه: «ما ذا يقول هذا؟» فترجم له ما سمع، فبسم منكه وقال: «وإن كان الأمر على ما قال هذا، فلمَ حملني ملك العرب من بلدي، وقطعني عن أهلي، وتكلف الغليظ من مؤتي، وهو يجد هذا نصب عينه وبأزائه. وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا، فلم لا يقتله. فإن الشريعة قد أباحت دم هذا ومن أشبهه، لأنه إن قتل، ما هي إلا نفس، بي بفنائها أنفس خلق كثير. وإن ترك هذا الجاهل، قتل كل يوم نفسا، وبالحرى أن يقتل نفسين أو ثلاثة أو أربعة في كل يوم، وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة».

ومن جملة ما نقله منكه من اللغة الهندية إلى العربية كتاب «ميسر»، وعشر

مفالات. ويحمرى بحرى الكناش. نقله بأمر يحيى بن خالد البرمكى، وكتاب
أسئلة عقابير الهند. فصره لاسحاق بن سليمان الهاشمى.

صالح سأل، ابن بهلة الهندى الطيب الشير كان فى أيام الرشيد هارون
بعداد. ذكره ابن أبى أصيبعة فى طبقات الاطباء والقطنى فى أخبار الحكماء. قال
القطنى إنه كان هدى الطب. حسن الاصابة فيما يعاينه ويخبر به من تقدمه
المرة على طريق الهند. ومن عجيب ماجرى له أن الرشيد فى بعض الايام
قدمت له الموايد. طلب جبرائيل بن يحيى يسوع ليحضر أكله على عادته فى ذلك.
فلم يحده. فغضب الرشيد. وبينما هو فى ذلك إذ دخل عليه. فقال له: «أين
كنت؟» وطلق بذكره بشر. فقال: «إن اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن
عمه. إبراهيم بن صالح. وترك تناولى بالسب. كان أشبه..» فسأله عن خبر
إبراهيم. فأعلمه أنه خلعه ربه رفق ينقض آخره وقت صلاة العتمة. فاشتد
جزع الرشيد من ذلك. وأمر برفع الموايد. وكثر بكأوه.

قال جعفر بن يحيى: «يا أمير المؤمنين. جبرائيل طبه رومى. وصالح بن
بهلة الهندى فى العلم بطريقة أهل الهند فى الطب. مثل جبرائيل فى العلم
بمفالات الروم. فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر باحضاره. ووجهه إلى إبراهيم
بن صالح ليفهمنا عنه. فل..» فأمر الرشيد باحضاره وتوجيهه وبالمصير إليه. بعد
منصرفه. من عند إبراهيم. ففعل ذلك جعفر. ومضى صالح بن بهلة إلى إبراهيم.
حتى عاينه وجس عرقه. وصار إلى جعفر. فدخل جعفر على الرشيد فأخبره
بمخضور صالح. فأمره الرشيد بادخاله إليه. فدخل ثم قال: «يا أمير المؤمنين.
أنت الامام وعاقده ولاية القضاء للأحكام. ومهما حكمت به. لم يمحز لحاكم
فمنه. وأنا أشهدك وأشهد على نفسى من حضرتك. أن إبراهيم بن صالح. إن

توفى في هذه الليلة وفي هذه العلة، فان كل ملوك لصالح بن بهلة حر لوجه الله . وكل دابة له فحيس في سبيل الله، وكل مال له فصدقة على المساكين، وكل امرأة له فطالق ثلاثا. فقال الرشيد: «حلفت، يا صالح! بالغيب». قال صالح: «كلا، يا أمير المؤمنين! إنما الغيب ما لا دليل عليه ولا علم به. ولم أقل ما قلت إلا بدلائل بينة وعلم واضح». فسرى عن الرشيد ما يجد، وطعم وأحضر له النيذ فشرب. فلما كان وقت العتمة، ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة إبراهيم بن صالح على الرشيد. فاسترجع وأقبل على جعفر بن يحيى باللوم في إرشاده إلى صالح بن بهلة. وأقبل يلعن الهند وطبهم، ويقول: «واسوأنا من الله! أن يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت وأنا أشرب النيذ! ثم دعا برطل من النيذ ومزجه بالماء وألقى فيه من الملح شيئا، وأخذ يشرب منه ويتقيأ، حتى قذف ما كان في جوفه من طعامه وشرابه. وبكر إلى دار إبراهيم، فقصد الخدم بالرشيد إلى رواق فيه الكراسي والمساند والتمارق. فاتكأ الرشيد على سيفه ووقف وقال: «لا يحسن الجلوس في المصيبة بالأحبة على أكثر من البسط، فارفعوا هذه الفرش والتمارق». ففعل ذلك وجلس الرشيد على البساط، وصارت سنة لبني العباس من ذلك اليوم، ولم تكن السنة كذلك.

ووقف صالح بن بهلة بين يدي الرشيد، فلم ينطق أحد إلى أن سطعت روائح المجامر، فصاح صالح بن بهلة عند ذلك: «الله، الله، يا أمير المؤمنين! أن تحكم على بطلاق زوجتي، فيتزوجها من لا تحل له. الله، الله، تخرجني من نعمتي، ولم يلزمني حنث. الله، الله، أن تدفن ابن عمك حيا. فوالله ما مات! فأطلق لي الدخول عليه والنظر إليه». وهتف بهذا القول مرات. فأذن له بالدخول على إبراهيم. ثم سمع الجماعة تكبيرا، فخرج صالح بن بهلة وهو يكبر.

ثم قال : يا أمير المؤمنين . قم . حتى أريك عجبا ! فدخل إليه الرشيد ومعه حاضنة من خواصه . فأخرج صالح إبرة كانت معه . وأدخلها بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحمه . لجذب إبراهيم يده وردها إلى يده . فقال صالح . يا أمير المؤمنين ! هل يحس الميت الوجود ؟ . وقال : يا أمير المؤمنين ! أخاف إن عاجلته فأفاق وهو في كفن . بعد ما رائحة الخوط أن يصدع قلبه فيموت موتا حقيقيا . ولكن أمر تحريده من الكفن . ورده إلى القبر . وإعادة الغسل عليه . حتى يزول منه رائحة الخوط . ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته . ويطيب مثل ذلك الطيب . ويحول إلى فراش من فرش التي كان يجلس وينام عليها . حتى أعالجه محضرة أمير المؤمنين . فانه يكلمه من ساعته ! .

قال أبو سلمة . فوكلى الرشيد بالعمل بما حدّ صالح بن بهلة ففعلت ذلك . قال ثم سار الرشيد وأنا معه ومسرور إلى الموضع الذي فيه إبراهيم . ودعا صالح بن بهلة بكندس ومفخة من الخزاة . ونفخ من الكندس في أنفه فحك يده ! وسأله الرشيد عن قضيته فذكر أنه كان نائما لا يذكر أنه نام مثله قط طيبا . إلا أنه رأى في منامه كلبا قد أهوى إليه فتوقاه بيده فعض إبهام يده اليسرى عضنة انتبه بها وهو يحس بوجعها ! وأراه إبهامه التي كان صالح بن بهلة أدخل فيها الإبرة . وعاش إبراهيم بعد ذلك دهرا . ثم تزوج العباسة بنت المهدي . وولى مصر وفلسطين . وتوفي بمصر سنة ١٧٦ هـ - ٧٩٢ م .

ابن دهن . وهو الطبيب الهدي من الأطباء المشهورين . كان إليه بيمارستان البرامكة ببغداد . نقل إلى العربية من اللغة الهندية عدة كتب . منها إستانكر الجامع . وكتاب سندستاق - معناه كتاب صفوة النجح . ذكره ابن بشر في فهرسته .

كنهه ، كان اشتهر في تركيب الأدوية ، وكان راحمًا في علوم الهيئة والرياضيات . وقد أثنى على طول باعه في علم الهيئة . فلكي كبير من بلخ . وأنه فوق تطيه كان يساعد في ترجمة الكتب إلى العربية .

وإن التاريخ كما لا ينسى الخليفين ، هارون ومأمون الرشيد ، لا ينسى وزراء الخلافة العباسية من بيت البرامكة ، فهذا البيت الكريم ، له كذلك أياد بيضاء في نقل الكتب من السنسكريتية وغيرها من اللغات إلى العربية .

وإن أبا الريحان البيروني كذلك يستحق كل ثناء على ما أبدى من المهمة التي لم تعرف الكلل في خدمة اللغتين ، العربية والسنسكريتية . وكتابه عن الهند لناطق بفضله . وله مؤلفات أخرى ، دون فيها مما تلقى من السنسكريتية أو ترجم منها وغيرها إلى العربية ، فذكر أسماء بعضها فيما يلي :

١ - كتاب باتنجل (Patanjali Sutra)

٢ - كتاب في الكسوف والخسوف على خيال الهنود ، سماه بكتاب الكسوفين عند الهنود .

٣ - لكهو جاتكم (Laghu Jackam)

٤ - راشكات هند . وقد طبعته مطبعة دائرة المعارف بمحيدرآباد .

أما الكتب الأخرى ، فلا علم لنا بنسخها الخطية أو طبعها .

وما يستحق الذكر أن البيروني ترجم من العربية إلى السنسكريتية كذلك ، فن ترجمته كتاب المجسطي لمؤلفه اليوناني ، بطليموس ، نقله البيروني إلى السنسكريتية .

لا يوجد تاريخ للعرب القديم قبل الاسلام ، ولو وجد ، لتيسر البحث في التأثير الذي أحدثته الثقافة الهندية — وهي قديمة جدا — في اللغة العربية والآداب العربي والثقافة العربية .